الحوار بين العقل والنقل

د. بهيج ملا حويش

عضو المجلس العالمي للمساجد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

فقد جاء في كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمي لعبد المسيح بن إسحاق الهاشمي الكندي قبل قرابة عشرة قرون في عهد المأمون يقول :(فاكتب بما عندك من أمر دينك، آمناً مطمئناً، غير مقصر في حجتك، ولا مكاتم لما أنت معتقده، حتى نقيس ماتأتينا به، وتتلوه علينا، على أن تشرح لنا علته، فقد أطلقناك وحجتك، فاحتج، عافاك الله، بما شئت، وتكلم بما أحببت، وانبسط في كل ماتظن أنه يؤيدك، فإنك في أوسع الأمان.

ولنا عليك أصلحك الله، إذا أطلقناك هذا الإطلاق، وبسطنا لسانك هذا البسط، أن تجعل بيننا وبينك حكما عادلاً لايجور ولا يحيف في حكمه وقضائه، ولا يميل إلى غير الحق، وهو العقل يأخذ به الله عز وجل ويعطي . فإننا قد أنصفناك في القول، وأوسعناك في الأمان، ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا ؛ إذ ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (عن العلاقات الإسلامية المسيحية، بيروت١٩٩٤، صَ٢٧٦).

لا أبالغ إذا قلت إن مبادرة خادم الحرمين الشريفين قد نقلت قضية الحوار من إطارها الفكري النظري إلى ميدان الواقع الحسي، بل من فكر الأزمة القائم على العنف المقدس إلى كلمة سواء بيننا وبينكم .

العالم يتحدث اليوم عن منطق جديد انبثق من أرض الإسلام ليضع العالم بكل أطيافه أمام مسؤوليتهم التاريخية المتجددة مناديا باستبدال الحرب المشروعة بالسلم العادل.

إذ كما يقول المفكر هانزكونغ: «لا سلام في العالم بدون سلام بين الأديان، ولا سلام بين الأديان بدون حوار بينها».

فالسلام لا يتولد إلا بالحوار لأن الحوار يؤدي إلى التفاهم والتفاهم يؤدي الى الثقة والثقة توجه نحو التعاون لخير الناس

لاشك أنه ما كان لخادم الحرمين الشريفين أن يقوم بخطوته لو لم يكن على إدراك تام بحساسية مبادرته وما ينطوي عليها من مخاطر، ولكأني به قد تنبه ـ والتنبه يسبق القرار ـ إلى أن الحوار الهادف يمر بأزمة تحتاج إلى دفع جديد باتجاهات متعددة، ولغة جديدة، وآفاق مستحدثة . وكل أزمة تحمل في طياتها أمرين : فرصة ومخاطر . فلنتحمل المخاطر ولنغتنم الفرصة بثقة المؤمن وعقيدة الواثق وعلينا أن ندرك أن قوة التأثير تكمن في الفاعلية لا في قوة السلطة، ذلك أن قوة الأفكار هي محور الالتفاف، وكأني أرى خادم الحرمين يدعو إلى التفاف البشر حول قوة الأفكار لا أفكار القوة .

الحوار لماذا؟

الحوار بمستوياته الثلاث: الديني، والثقافي، والاجتماعي، أي بين أتباع الديانات، وبين مفكري الشعوب، وبين مؤسسات المجتمع المدني، أصبح ضرورة ملحة لأن السلام العالمي انتقل بفعل الثورات الأخيرة الثلاث: الالكترونية والمعلوماتية، والبيوواراثية مهدد من جهات جديدة متولدة، إذ لم تعد العنصرية القومية ونتقاسم مناطق النفوذ واستغلال خيرات الدول الفقيرة ولا حتى الحقد الديني منفردة أو مجتمعة هي الدافع الوحيد للغزو والاعتداء بل أصبح لدينا إضافة إلى ذلك :

ـ الثقافة المتغطرسة

ـ النظام الاقتصادي العالمي المتوحش.

ـ النظام الاجتماعي القائم على عالمية جماعة المصلحة.

ـ إلزام الدول بقبول النفايات النووية في أراضيها ونصب المصانع الملوثة للبيئة.

ـ النظام الأخلاقي الجديد الذي تخطى حدود الدول ليفرض نفسه بالترغيب والترهيب على مجتمعات العالم بأسره. نظام يعرض إحلال «الجماليات» محل «الأخلاقيات» باسم الحرية والجمالية.

إنه اتجاه استعماري جديد يتلخص في أمرين :

ـ الاحتواء القسري . أو

ـ النبذ المطلق، بل والمحق التام .

هذا العنف سيقابله عاجلا أو آجلا عنف مضاد باسم حقوق الفقراء تارة، وباسم سيادة الوطن أخرى، وباسم الكرامة الإنسانية أو باسم حماية العقيدة والدين والثقافة، وهذا يعني أن فكر الأزمة في حالة تفاقم إن لم يسعفه منطق العقل وسبيل الحوار التفاهمي، ويعني أيضاً أن علينا أن ننقل ميدان عمل العقل من فضاء الأمل إلى أفق العمل المؤثر، وأن نعمل تفكيرنا في إنتاج أفكار خلاقة تبدع لنا منهجية عمل جديدة وبرامج عمل مشتركة وأن ندمج آفاقنا لنسير من دروب الاستقلالية المتفردة إلى سبل التكافلية المتعددة الثقافات بما يوحي بنهاية عصر المجتمعات ذات اللون الواحد، عرقيا أو قوميا أو فلسفيا بل وحتى مذهبياً .

إن كلامنا هذا يبقى أملا طَوِيّاً إن لم نعمل على توفير وعي مسالم وضمير

يوجه أنشطتنا نحو السلم مع الأفكار ومع الثقافات قبل شروعنا في توجيهه نحو السلم بين الأديان والمعتقدات، أقول هذا للأسباب التالية :

ـ إن الحوار الديني ـ الديني قد وصل إلى سقفه لأن مرجعيات المتحاورين محدودة وآلية عملهم متأرجحة، وحضور أشخاصه حضوراً ودياً بل بروتوكولياً أحياناً.

ـ ظهور اتجاه جديد يعمل على تحقيق "القومية الدينية" بما يحمل في طياته من نظرات التعالي العرقي والفلسفي والاعتقادي، وما يحمل من استخدام مقومات القوة لسحق من لا يملكها، وجعل المرجعية الثقافية وصفاء السلالة عنصرية جديدة تخلع عنها أخلاقيات التعامل وتهدم سلم القيم لصالح تحالفات مصلحية.

ـ تحريك الطائفية ضد المسلمين خارج بلادهم بحجة المحافظة على نقاء الثقافة المجتمعية وتحريك الطائفية في بلاد المسلمين بحجة المحافظة على حقوق الأقليات، وهذا كله يتبعه بطبيعة الحال فرض "الثقافة المقدسة" و "الكبت الثقافي" و "جبروت الفكر الأحادي". لا أقول هذا تشاؤما، ولكني استقرىء معايشاتنا وآفاقنا التي ترسم الآن لتصب في مصالح المتطرفين من الجانبين ـ الإسلامي وغير الإسلامي" والضمير الإنساني لا يزال يئن من مجازر "التطهير العرقي" وما يلوح في الأفق من محاولات "التهجير القسري" أو "الاحتواء الثقافي ـ الاجتماعي".

ـ لقد بينت لنا المواقف خلال الحوار الديني ـ الديني أن هناك من يتمطى ريادة الحوار والسلام، يظهر صداقة كاذبة ولكنه يخفي ندية عدائية متسقة مع

استراتيجيته المتكاملة.

انتهي من هذه النقطة لأؤكد أن الحوار الديني ـ الديني بدأت طاقته الدافعة بالنفاذ وهو بحاجة إلى قوة دفع جديدة وإلى مسارات حوارية متوازية تعيده إلى الجادة الصائبة بعد أن أتجهت مرجعياته العقدية نحو المساحة العقيمة غير القابلة للتفاوض. فلا يعقل ابدا ان يطالب جانب بالاعتراف بأن ﴿الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلام﴾ ويقابله الجانب الآخر بالاعتراف بألوهية المسيح عليه السلام أو سيادة شعب الله المختار أو غير ذلك.... إذاً نحتاج إلى جانب تعديل مسار الحوار الديني ـ الديني ذي المرجعية العقيدية، نحتاج إلى الحوار الثقافي ـ الثقافي و الأكاديمي ـ الأكاديمي ذي المرجعية العقلية الأوسع طيفاً، والأقدر على التراجع خطوة والتقدم أخرى نحو خط الحقيقة والعقل والمسالمة. وهو بلا شك الأوفر حظا في قابليته لتخطي منطق المجابهة وإسهامه في وضع برنامج عمل مشترك يتناسب ومنطق التنفيذ بواقعية مدروسة. وهنا يحضرني عبارة لهانز كونغ يقول فيها :

" نحن بحاجة إلى حلول براغماتية لا أيديولوجية " .

إذاً، نحن بحاجة إلى مراجعة أُطر التفكير في التعامل مع الغير بمفاهيم مدروسة ومفردات خطاب لا تعتمد تعدد المعاني المعجمية، أي الاشتغال الآن بطريقة التفكير بالمشكلة لاحلها، لأننا ما زلنا في إطار التحضير الواعي، ونحن بحاجة أيضا إلى الخروج بالحوارمن الذات إلى الموضوعية، واستنتاج المجهول من المعلوم.

وهذه كلها منطلقها العقل وميدانها الحس والتجربة.

من أين يبدأ حوارنا؟

نحن نعي تماما أن إحداثيات التصادم العالمي قد تبدلت من الصراع القومي والصراع الطبقي الداخلي في القرن الثامن عشر إلى الحرب الباردة بين الشرق والغرب ثم الحرب الاقتصادية غير المعلنة بين الشمال والجنوب في القرن الماضي، حتى انتهى الأمر إلى مقولة حتمية صراع الحضارات باسم الهوية الثقافية بين الغرب من جهة وبين آسيا الاقتصادية والإسلام العقدي ـ الثقافي من جهة ثانية مع ما حمل هذا الفكر من ضرورة إيجاد حروب عرقية وقبلية ومذهبية تفكك البنية الداخلية للقوى الاقتصادية الأسيوية الذي كان يسمى بالخطر الأصفر وبنية البلاد الإسلامية المسماة بالخطر الأخضر، وضرورة استغلال التفوق التكنولوجي العسكري لشن حروب استباقية منعا لأي تهديد مستقبلي.

ونعي تماماً أن الساحة العالمية لم تعد بأيدي الدول وحدها، بل أصبح هناك عنصر جديد قادر على شن حروب لصالح فئات المصلحة، تقلب الحكومات وتغزو الأرض وتمحق النسل والزرع. إنها جيوش المرتزقة بمسمياتها المختلفة والتي أصبح تعداد بعضها يفوق ١٨٠٠٠٠ مرتزقاً، وهذه الجيوش هي نتاج مخابر "فرانكشتاين" التي خرجت عن السيطرة، وأصبح لها مطالبها الخاصة وآلياتها المتمردة على كل العهود والمواثيق وهي جاهزة في "المزاد العلني" لمن يدفع أكثر لا من يبحث عن نصرة المظلوم والفقير والمغبون.

أُكرر القول إننا بذات القوة التي نرفض بها الاتجاه الديني نحو الإيديولوجية الدينية الهادفة إلى "تطهير العالم من المارقين" باسم طاعة الله

والتقرب إليه، فإننا نحارب طغيان الثقافة المحلية على غيرها بتحولها إلى ثقافة امبريالية أو ثقافة عنصرية تدفع بالجيوش لسحق الآخر أو استسلامه أو ابتلاعه تحت غطاء "العولمة" النابذة للصغار والفقراء والضعفاء.

وفي الوقت نفسه نرفض فصل الدين عن الثقافة لأنهما يكملان بعضهما، إذ أثبت مذهب العلمانية (اللادينية) فشله في جعل مصلحة الإنسان محور الفكر دون غيره، وجعل اللذة والمنفعة والحرية الشخصية في مواجهة المعتقدات والأخلاقيات ذات القيمة الثابتة. ولهذا نؤكد على ضرورة جعل الحوار دينياً ثقافياً لمعرفتنا بواقع النسيج الثقافي المعاصر على المستوى العالمي الداعي إلى أن يلج الفكر الديني ميادين جديدة ويتحمل مسؤوليات جديدة أيضاً .

ويعود السؤال الرئيسي : من أين نبدأ ؟

ـ الأمر الأول هو أن نبعد الذاكرة السوداء حين التخطيط لمستقبل الحوار وأن نمارس نوعاً من المحو الانتقائي لذاكرة زمن التقاتل إذا كنا فعلا نسعى للتفاهم الديني ـ الديني، أو الثقافي ـ الثقافي، أو العرقي ـ العرقي.

ـ أن نخرج الفكر الديني من "الغيتو" الذي فرضه على نفسه في عملية الحوار وأن نحدث شرخاً في جدار العزلة الاختيارية أو العزل المفروض عليه ليساهم بقوة في بناء مستقبل جديد للإنسانية وأن يستعيد زمام المبادرة ـ كما كان في السابق ـ على أساس الفعل الديني في تنظيم المجتمعات متعاملاً مع روح العصر بوعي الواثق من عقيدته وفكره والمتمرس في التعامل مع مستجدات المسرح العالمي وبخاصة في عقلنة الحياة الثقافية ودفع العقل الجمعي إلى التعاطف والتسامح المتبادل وإلى تعلم العيش المشترك كما كان

في الصدر الأول من الإسلام، لأن التسامح يسهل تبادل الأفكار ومعرفة الأخر على حقيقته.

ـ ليس هناك تعارض بين الولاء للدين والوفاء للوطن مهما كانت هوية الفرد الدينية أو موقعه الجغرافي إذ لامجال للتفكك الاجتماعي السياسي بسبب هذه الثنائية المتساندة . كما أن التسوية بالمواطنة لاتعني أبداً نزع الهوية الدينية .

ـ لم يعد هناك مجال للاهوت السياسي في عملية الحوار الثقافي الديني لأن أهم موجبات الحوار ونجاحه هو العنصر العقلي الواقعي لا الدوغماتي الحتمي .

هذا الأمر يقودنا إلى القول:

ـ إن تعدد الديانات واللغات والفلسفات يفرض علينا في عملية الحوار اعتماد لغة العقل لا لغة الإيمان وأنه لايمكن، بل لايحق لنا الرد على أسئلة اليوم بأجوبة الأمس البعيد، بل المفروض بنا أن نفتح طريقاً جديدة تسمح لنا بإعادة طرح مسائل الحوار بما يتفق وأجوائه الثقافية وبما يتفق والسياق الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي نعيشه اليوم ، وأن نحاول دمج أفاقنا لنصل إلى كلمة سواء، وهذا بدوره سيعيد عظمة الإسلام على المسرح العالمي ليتبين الآخرون سموه ورفعته وسمو أخلاقياته وعالميته، بل أكاد أقول إن الحوار المتحرر من القيود سيجعلنا نكتشف أبعاداً جديدة لعمق ديننا وعظمته خلال تعرفنا على مايقدمه الآخرون.

إن انطلاقنا في عملية الحوار المفتوح والمعمق سيجعلنا نكتشف الآخر، نكتشف أقواله وأفعاله، ويجعل هذه العملية نوعاً من النشاط الفكري يتحرر معه العقل المسلم من الأقوال الدغماتية ليقرأها منسوبة إلى سياقها التاريخي

الاجتماعي بعيداً عن الأطر المثالية الأديولوجية، والمقصود هنا بالطبع كل ما هو خارج دائرة العقيدة وخارج دائرة صحيح الثبوت ووحيد المعنى. والحقيقة أن الدين بلا حوار يفقد جزءاً أصيلا من مبررات وجوده، إذ ماحاجتنا للدعوة إذا لم يكن الحوار مقدمة لها، بل إن الدين بلا حوار مع الآخر انكفاء على الذات والحديث عنه "مونولوج" لا هم له سوى توطيد حدود عاداتنا وتقاليدنا بعد التأكيد على أمور العقيدة والعبادة وشيء من المعاملات والأخلاقيات .

ــ الحوار العادل والمنتج يفرض علينا أمرين إضافيين :

-النظر إلى المحاور الآخر على أنه إنسان وموضوع والإنسان له كرامته فلابد من احترام ذاتيته، لأن الاحترام مفتاح كل حوار.

والموضوع يقتضي منا إدخاله محكمة العقل، والقيام بمحاكمة عقلية لما يطرحه الآخر وتبيان مدى جديته في الحديث وتركيزه على لب الموضوع أو انصرافه نحو تفاصيل هامشية تخرجه عن موضوعيته، لأن الحوار ليس مظهراً دعائياً ولا هو جبلاً ثلجياً عائماً يخفي تسعة أعشاره تحت الماء ليستجر الآخر ويحطمه من حيث لم يحتسب.

وقبل الانتقال إلى نقطة ثانية يحسن بنا التأكيد على أن الصدود عن التواجد في دائرة الحوار سيقودنا حتماً إلى انكماش فكري وإحساس بعدم القدرة على المدافعة وردع الاعتداءات المتكررة على ديننا وعقيدتنا ، بل ويجعلنا نحبس أنفسنا في أقفاصنا دونما اعتبار لمتطلبات المستقبل وتركيز نشاطنا كله على إبقاء نسيجنا الاجتماعي والثقافي في دائرة العقيدة والعبادة تخوفا من افتراق الثقافة والسياسة والاقتصاد عنه فلا يبق لنا حينئذ سوى الاعتراف بشللنا الفكري وانسداد آفاق نشاطنا وانتظار الفرج والتعلق بالأمل الذي لم تصنعه أيادينا .

كيف نبدأ ؟؟

إذا اتفقنا على أن منهجية الحوار هي النقيض الطبيعي لمنهجية التازيم، وأن الحوار هو العلاقة التي تربطني بالآخر المغاير في المجتمعات المتعددة الديانات والثقافات، وأنه لا خوف من تحول الحوار إلى عامل تفكيك المجتمع المؤمن، بل إن الإيمان بالله يعلي من كرامة المخلوق ويحفظ له حقوقه الطبيعية ويصونها فيما اصطلح عليه في مقاصد الشريعة والضروريات الخمس وما يلحقها من احتياجات وتحسينات أو مكملات مهما كان انتماؤه العرقي أو الديني أو القومي؛ إذ علينا قبول تباين المعتقدات والأفكار والأطروحات بدون تبرم ولا استهجان ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

وقبول التباين يستتبع قبول أطروحات الآخر وآرائه الشخصية ضمن إطار النسبية في اقترابها وابتعادها عن الحقيقة. وتطبيق الأمر ذاته على أطروحاتنا نحن، وأن نتحلى بالصبر وبعد النظر حتى لا نكون عرضة للاستفزاز والتخلي عن مواقفنا ، بل نسعى جاهدين لإحلال المسؤولية محل التحريض، والحق محل الأنانية والأمل محل التثبيط والمرونة محل التشبث الأعمى اتساقاً مع المسعى الرباني في العمل وفق مبدء تحقيق الحق والعدل.

ولكن الحوار يحتاج إلى سياج أمان وأرضية خصبة وروافد تدعمه فلا أقل إذاً من بث ثقافة الحوار فيمن حولنا بقصد تقوية الفكر الحواري بمواقفه ومساراته ووجدانيته، ولنجعل من عملنا هذا تجارة في خدمة الإنسان فيما اصطلح عليه بالمصالح المرسلة. وأن نبتعد كل البعد عن ثقافة حتمية الصراع وجبريته .

ولقد سبق القول إن عملية الحوار تحد يحمل في طياته أخطارا كما يحمل آمالا ، ولكي نغلب هذه على تلك يجدر بنا العمل أولاً على تأمين نوع من القبول العام لمشروع الحوار المتعاظم، وأن نخفف من المظاهر القولية والعملية التي قد تؤدي إلى زعزعة التماسك المجتمعي، وأن نعالج ـ سلفاً ـ أدواءه المحتملة حتى لا يكون التفرق الداخلي ثمنا للحوار مع الغير. وهذا يعني أن لا نستعجل الخطوات الحوارية قبل ترتيب البيت الداخلي أو تأمين حد أدنى من القبول والرضى كي لا يكون عملنا تحت خيمة الضغوط الديماغوجية وما ينجر عنها من ردود أفعال تحبط العملية برمتها. فلنعط فرصة للزمن، ليساهم في تحقيق المراد.

ـ كثيراً ما نسمع حديثاً أدبياً عن لغة الحوار، ولنكن صرحاء كما أسلفت؛ إذ لا بد من جعل كلامنا نسبياً لا مطلقاً وعقلياً لا عقدياً إذا ما أردنا أن يتقبله الآخر وإذا ما أردنا دفعه إلى نوع من الدياليكتيكية التي اتبعها الأسلوب القرآني .

في سورة سبأ : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) قُلْ لاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾(٢٤-٢٦).

ـ ثم إن مفردات الخطاب الحواري تقتضي منا دراستها بدقة وحسن انتقائها لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(الإسراء:٥٣).

لا أن نقدح ذاكرتنا للبحث عن مفردات جارحة؛ إذا ما تفوه الآخر بذلك ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو

حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (فصلت: ٣٤ـ٣٦).

فالضمير الواعي إذ يدعونا إلى اعتماد خطاب ديني ثقافي يعبر عن صرخة الإنسان ضد الظلم الواقع عليه من الفكر الأناني الذي يعتبر الإنسان حقيقة الكون المركزية وغايته القصوى، وأن النفعية الميكافيلية لا تقف دونها إنسانية الإنسان ولا حرمة النظام البيئي ولا معيار القيم والفضائل ولا المواثيق والعهود. هذه الصرخة محطها المنابر الدينية أولا ثم المحافل الثقافية والقاعات الدراسية، لتدك أسماع الناس بشتى معتقداتهم ومستوياتهم حتى لا نكون من دعاة زمن التقاتل باسم المذهب الأسمى، والقومية الأعلى، والثقافة الغالبة فنقدس السياسة ونسيس الدين .

إن خطابنا الديني الثقافي مطلوب منه الاتجاه نحو سلم الأفكار وسلم السياسة وسلم المعتقدات، ونحو تحقيق توازن بين مسارات الثقافات المختلفة مع نوع من التبادلية التفاعلية بينها.

ثم إن خطابنا الديني الثقافي مطلوب منه أن يتوجه إلى أصحاب السلطة الطاغية وجماعات المصلحة وجماعات الضغط بنقد موضوعي بقصد الضغط عليها حتى تكف عن العبث بكرامة الإنسان وخيرات الأرض ومحاربة الأديان والأفكار الناقدة، وحري بالمدافعين عن الحرية والسلام أن لا يسعوا إلى استيعاب المنظمات الحوارية من اجل إغراقها بحجة الواقعية الدينية.

الحوار الذي نسعى إليه مطلوب منه أن يخرج بجملة مبادئ وبرنامج عمل يضغط فيه على المؤسسات العالمية للقيام بواجبها لاجتثاث الفقر وإحلال

السلم والحفاظ على النظام البيئي والمساهمة الفعلية بقضايا التنمية الحقيقية لا تحويلها كما هو حاصل الآن إلى تغذية التفاوت الطبقي؛ بإيجاد مجالس من أرباب العمل يتحكمون بالسلطة الحقيقية في البلد ويقومون بدور وكلاء للشركات المتعددة الجنسيات على حساب رغيف الشعب وكرامته.

برنامج الحوار الديني ـ الثقافي العالمي مطلوب منه أيضا أن يتعاضد في مجال تلازم الأخلاقيات مع علوم الحياة المستحدثة وبخاصة في قضايا الوراثة والأجنة وجعل المرأة مفرخة صناعية تغذي كل ما يحقن في رحمها، والأمر نفسه ينطبق على علوم التداوي والتجارب الطبيعية التي تجري بعيداً عن أعين الرقيب فالقضية ليست قضية إيقاف عجلة العلم وإنما توجيهه لصالح الإنسان حتى لا تتكرر قضية التجارب النووية والنفايات المشعة والتلوث البيئي الصناعي.

برنامج الحوار الديني مطلوب منه أيضاً الدفاع عن حقوق الأرض والحيوان لا تركهما في متناول جشع الإنسان غير المسؤول؛ لأن هذه الخيرات ملك للأجيال القادمة لا يمكن التفريط بها بحجة زيادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية. والأديان كلها مدعوة إلى تقوية المؤسسات الأهلية المدافعة عن البيئة ونظامها المتوازن بمنطق ديني وعناصر متدينة مؤثرة في المجتمعات البشرية كلها.

ـ المثقفون ـ ونقصد المثقفين غير المتدينين لأن نظير المتدين ليس المثقف، بل الذي لم ينل حظه من المعرفة الدينية ـ أقول إن المثقفين غير المتدينين مطالبون أيضاً بالسعي خلال العملية الحوارية إلى أن يقفوا في وجه الثقافة المضادة التي تتسم بالحتمية الثقافية عن طريق إذلال المجتمعات الأخرى وتنصيب ثقافة ضابطة عليهم، والوقوف في وجه محاولات اختزال الثقافة على السمات

الثقافية ـ كما هو حادث مع قضية الحجاب ـ لأن الحجاب ليس معيارا اجتماعياً كي يحارب، بل هو مستوى سلوكي وفعل تعبدي يجري عليه مبدأ حرية العبادة كما يجري على أصناف العبادات الأخرى. فهم مطالبون إذا ـ خلال العملية الحوارية ـ بإيجاد بساط من التفاهم بين الحضارات والثقافات، وإلى تقريب أطراف الحوار حتى يفهم الواحد الآخر في إطاره الفكري والثقافي، وإلى تساند الحضارات والثقافات وتسهيل قنوات التبادل بينها . وأن يسعوا مع المثقفين المتدينين إلى تثقيف السياسة والسياسيين وإيجاد قواعد ثقافية تتخطى حدود السياسة وحدود الوطن. المطلوب منهم أن يتعاونوا جميعا في إعادة طرح علاقة الثقافة الملتزمة وغير الملتزمة بقضايا الحقوق والدفاع عنها وبدورها في إخماد الفتن الاجتماعية والسياسية والدينية .

إن المساهمين في عملية الحوار بين الثقافات والأديان مطلوب منهم ـ إذا كانوا مخلصين حقا ـ أن يكونوا سفراء لمنتديات الحوار لدى الكيانات التي انتدبتهم لا أن يكونوا سفراء لهؤلاء في المنتديات بقصد فرض وجهات النظر وإثبات المواقف.

وأخيرا لن يتحقق المطلوب من العملية الحوارية إلا إذا نزل المتحاورون إلى الشارع ليخاطبوا الناس بشتى طبقاتهم وتوجهاتهم حتى لا يكون الحوار ترفاً ولا مهرجاناً ولا دبلوماسية.

ولكي يتحقق هذا وذاك نحتاج ـ نحن المسلمين ـ إلى دوائر تهتم بدراسة مسارات الحوار ومآلاته، والياته وأشخاصه، وهذا مطلب أساسي لأن العملية الحوارية لا تستمر بدونه.

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .